AL-HIKMAH
AL HIKMAH INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES AND HUMAN SCIENCES

EISSN: 2637-0581 (online)
Copyright © 2018 Al Hikmah International Journal of Islamic Studies and Human Sciences. All Rights Reserved.

جهود الإمام فخر الدين الرازي في إسلامية المعرفة من خلال القرآن الكريم

عبد العزيز فرج حمد علي عزران[1]

الملخص

إن الناظر والفاحص لتراث الإمام فخر الدين الرازي يعلم علم اليقين إن ما تركه هذا الإمامُ من علمٍ جمٍ، يستوجبُ للباحثين التنقيب عن العلوم الدينية والدنيوية من علوم كونية ورياضية ونفسية التي نُثرت في بطون كتبه ومؤلفاته، ومن ذلك ما سُطر ببنانه من علوم أنهل من دُرها المكتبات الإسلامية، وقد افترق الناسُ بسبب مؤلفاته على شقين، فمنهم من ينقِدُها[2] ومنهم من يثبِتُها، وفي هذه الورقة نورد العلوم والمعارف التي ذُكرتْ في بعض مؤلفات إمامنا الرازي –رحمه الله–.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة .

---

[1] طالب دكتوراه في قسم القرآن والسُّنة، كلية المعارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

[2] انظر إلى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى في أكثر من موضع منها ج4، ص28.

أما بعد..

فإن القرآن الكريم أنزله الله تبارك وتعالى هديةً وهدايةً، فهو هديةٌ من الرب جل وعلا للخلق كآفة لما اختص الله الكريم فيه من العلم والبيان مالم ينزل من قبل، وهدايةٌ من ضلال الكفر والشك والجهل، فنوره غير مقصور على الهداية الدينية دون المعرفة الدنيوية، ودلالةُ ذلك أن جمع بين فتراتِ تنزيله بين العلم والتقوى، فأول ما نزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1]، وأخرُ ما نزل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:281][3].

فالقرآنُ الكريمُ يحوي بين دفتيه ما يدفعُ اتباعه إلى القراءة والتقوى، حتى يرتقي بالروح والفكر إلى أعالي قمم المجد والسؤدد.

وقد أعتني إمامنا الرازيُّ في مؤلفاته التي قاربت نحو من مائتي مصنف[4] بالجوانب المعرفية والتجارب البشرية مما سُطِرَ في الحضارات السابقة لاسيما تفسيره الموسوم: بـ"مفاتيح الغيب"، فنراه بين الفينة والأخرى يُقرِّرُها أو يرُدُّها، ولربما كتب في علمٍ لم يُبحثُ فيه إلا بعد قرونٍ متطاولة.

و هذا البحثُ ينقسمُ إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الإمام فخر الدين الرازي، ويتضمن أربعة أنواع:

النوع الأول: اسمه ونسبته.

النوع الثاني: سمةُ عصره:

النوع الثالث: وفاته.

المطلب الثاني: تعريف المعرفة عند الإمام فخر الدين الرازي.

---

[3] جلال الدين السيوطي، **التحبير في علم التفسير**، (مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، الطبعة الأولى: 1995م، تحقيق: د. زهير عثمان علي نور، النوع الثاني عشر والثالث عشر: أول ما نزل، وأخر ما نزل، ص179، ص190.

[4] إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان)، طبعة: 1997م، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ج17، ص11.

المطلب الثالث: سبق المعرفة القرآنية عند الرازي.

المطلب الرابع: موافقة العلوم والمعارف للقرآن الكريم.

المطلب الخامس: دحض القرآن الكريم للأباطيل المعرفية.

المطلب الأول: ترجمةُ الإمام فخر الدين الرازي:

النوع الأول: اسمه ونسبته[5]:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولد في سنة أربعٍ وأربعين وخمسمائة للهجرة النبوية على الصحيح، قال الدكتور: عارف مفضي المسعر: "ولما كان الرازيُّ قد أبان أنه قد أتم تفسير سورة يوسف (يوم الأربعاء السابع من شعبان سنة إحدى وستمائة)[6]، فإن بلوغه السابعة والخمسين من عمره عام 601هـ، يعني أن مولده يرجع إلى عام 544هـ"[7].أهـ.

وهو طبرستاني الأصل ورازي المولد.

النوع الثاني: سِمةُ عصره:

وأفضلُ من كتب عن حقبة الإمام الرازي، هو الدكتور عارف حيث يقول: "أن الحديث عن خصائص العصر وسماته البارزة ليس من الهينات التي يسهلُ فيها أن نقول القول، فيصادفُ عند الناس قبولاً خالصاً، لأن نسيج الحياة كثير الخيوط، فيها المتشابه وفيها المتباين، بحيث لا تكادُ تصف العصر بسمة عامة حتى تصادفك شواهد نقيضها، فإنه لابد من إلقاء الضوء على بعض جوانب الحياة إذ ذاك، محاولةً للإلمام ببعض سمات عصر الفخر الرازي تقف – بلا شك – دون حد الاستقصاء، وسنقتصرُ بالأمر على جانبين من الجوانب الحياتية

---

[5] انظر بتصرف: **سير أعلام النبلاء** لشمس الدين الذهبي، ج21، ص500-501.

[6] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (طبعة: دار الكتب العلمية: بيروت)، الطبعة الثالثة: سنة 2009م، ج18، ص182.

[7] الدكتور: عارف مفضي المسعر، **المنقول والمعقول في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي**، (طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، الطبعة الأولى: 2005م، ص17.

المهمة، هما: الجانب الثقافي والجانب الاجتماعي، لنتعرف من خلالهما إلى بواعث الاتجاهات النقلية والعقلية في تلك الحقبة من الزمن"[8]. إلى قوله: "الحقبة الزمنية التي عاش فيها الرازي، وهي حقبة تلونت فيها الحياة بأنماطها المختلفة وفقاً لتعدد الأجناس والشعوب التي انضوت تحت ألوية الممالك الإسلامية، فتلاحقت أفكارها، وتفاوتت استعداداتها من حيث القدرة على التأثير والقابلية للتأثُّر"[9].أهـ.

وعند استقرائي للتاريخ في تلك الحقبة التي عاشها الإمام فخر الدين الرازي، تبين لي أنها تميزت في تعدد الدويلات الإسلامية، وفيها استولى الصليبيون على بيت المقدس وما حولها قبل أن يقيض الله الجبار لهذه الأمة نور الدين زنكي وبعده صلاح الدين الأيوبي الذي استرجع مصر أرض الكنانة من أيدي الدولة الباطنية العُبيدية، ومن ثم الشام من قبضة الصلبيين.

النوع الثالث: وفاته:

وقد كانت وفاته في سنة 606هـ بالري، ويقال سبب وفاته، أنه كان بينه وبين الكرامية خلاف كبير وجدل في أمور العقيدة، فكان ينالُ منهم وينالون منه سباً وتكفيراً، وأخيراً سموه فمات على أثر ذلك[10]، وأما عن تحديد الشهر الذي مات فيه فهنالك روايتان: أولهما: أنه مات في عيد الفطر من شهر شوال حكاها الصفدي[11]، والثاني: أنه مات بشهر ذي الحجة حكاها ابن كثير[12].

والجمعُ بين القولين ما قاله الدكتور عارف: "أن وفاة الرازي قد وقعت في الأشهر الثلاثة الأخيرة من السنة السادسة بعد الستمائة للهجرة، الموافقة لسنة ألف ومائتين وتسع للميلاد"[13].أهـ.

---

[8] انظر المنقول والمعقول للدكتور عارف، ص93.

[9] انظر المنقول والمعقول للدكتور عارف، ص93-94.

[10] د. محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (طبعة آوند دانش للطباعة والنشر)، الباب الثالث: المرحلة الثالة للتفسير أو التفسير في عصور التدوين، ج1، ص191.

[11] صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (دار إحياء التراث – بيروت)، طبعة سنة 2000م، ج4، ص177.

[12] انظر البداية والنهاية، ج17، ص12.

[13] انظر المنقول والمعقول للدكتور عارف، ص26.

المطلب الثاني: تعريف المعرفة عند الإمام فخر الدين الرازي:

قال الإمامُ اللغويُّ أحمد بن فارس: "المعرفة والعرفان. تقول: عرف فلان فلانا عرفانا ومعرفة". وهو في اللغة: إدراك الشيء على ما هو عليه. وقد فصّل في تعريفها إمامنا الرازيّ في تفسيره بأن المعرفة هي ما سبقها جهل، فلذا نجده يفرّقُ بين العلم والمعرفة فتجده في تفسيره يؤيدُ من يقول: "المعرفة إدراك الجزئيات والعلم إدراك الكليات". ويعللُ ذلك أن الرب تعالى يوصفُ بأنه عالم ولا يوصف بأنه عارف.

فلذا فإن المعرفة عبارة عن حصول العلم بعد الالتباس، ولهذا يقال ما كنت أعرف فلاناً والآن عرفته.

وفي هذا البحث سنتخرج بعون الله تعالى ما غيّبَ من دُّرر المعرفة في غور بحار مؤلفات إمامنا الرازي –رحمه الله–، ونثبتُ للقارئ الكريم علو كعب أئمة الإسلام في المعرفة قبل قرون طويلة من زمن الثورة المعرفية التي أعقبت الثورة الفرنسية.

المطلب الثالث: سبق المعرفة القرآنية عند الرازي:

لقد أعتنى علماء الإسلام في الحقبة التي كانت بعد عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد — رحمه الله– إلى قرابة نهاية القرن الثالث عشر للهجرة النبوية بالعلوم العقلية بجانب النقلية، وبرز إمامنا الرازيّ في العلوم العقلية في البلاد التي تسمى ما وراء النهرين[14]، وكان مما أفاد في مؤلفاته ومنها تفسير مفاتيح الغيب، ونختصرُ ما كتبه إمامنا الرازي في أمور وهي:

أ– إن إمامنا الرازي ذكر قول من يقول بكروية الأرض، وعلى الرغم أن فلاسفة الحضارة العراقية القديمة قد قالوا بها قبل 2000 للميلاد، وتبعهم فلاسفة الحضارة اليونانية إلى أن ظهر "أرسطو" الذي تبنى استواء الأرض ومن ثمَّ ساد رأيهُ[15]، فقد أورد الإمامُ فخر الدين الرازي من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ

[14] وهي: نهران سيحون وجيحون، انظر بتصرف: إلى ما قاله د. عاتق بن غيث بن زوير، **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**، (طبعة دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة)، الطبعة الأولي: 1982م، ص202.

[15] انظر بتصرف إلى ما قاله أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم**،

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164]، فقال –رحمه الله–: "فإن عند من يقول: الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي موضع ثالث عصر، وفي رابع مغرب، وفي خامس عشاء، وهلم جرا، هذا إذا اعتبرنا البلاد المخالفة في الأطوال، أما البلاد المختلفة بالعرض، فكل بلد تكون عرضه الشمالي أكثر كانت أيامه الصيفية أطول ولياليه الصيفية أقصر وأيامه الشتوية بالضد من ذلك فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلدان وعرضها أمر مختلف عجيب"[16]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54]، قال الإمام الرازي: "نقول أنا إذا اعتبرنا كسوفاً قمرياً حصل في أول الليل بالبلاد الغربية كان عين ذلك الكسوف حاصلا في البلاد الشرقية في أول النهار فعلمنا أن أول الليل بالبلاد الغربية هو بعينه أول النهار بالبلاد الشرقية وذلك لا يمكن إلا إذا كانت الأرض مستديرة من المشرق إلى المغرب وأيضا إذا توجهنا إلى الجانب الشمالي فكلما كان توغلنا أكثر كان ارتفاع القطب الشمالي أكثر وبمقدار ما يرتفع القطب الشمالي ينخفض القطب الجنوبي وذلك يدل على أن الأرض مستديرة من الشمال إلى الجنوب ومجموع هذين الاعتبارين يدل على أن الأرض كرة"[17].

(طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة سنة 2007م، ج2، ص237-238.

[16] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج4، ص175.

[17] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج14، ص90.

ب- جريان الشمس القمر فإن اليونانيين القدامى يقولون: أن الشمس والقمر هما مركز الكون وكليهما ثابتٌ لا يتحرك، وعلى هذا كان رأي الغربيين إلى قُبيل القرن الواحد والعشرين بمائتي سنة، قال الدكتور: زغلول النجَّار: "طل الغربيون إلى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي يؤمنون بأن النجوم مثبتات بالسماء، وأن السماء بنجومها تتحرك كقطعة واحدة حول الأرض، وأن الكون في مركزه ثابتٌ غير متحرك"[18].أهـ، ولكن إمامنا الرازيّ يثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33]، أن الشمس والقمر يجريان على الدوام، فقال –رحمه الله-: "وقوله: دائبين معنى الدؤب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطردة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وقد ذكرنا هذا في قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: 47]، قال المفسرون: قوله: ﴿دَائِبَيْنِ﴾ معناه يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلت مصالح العالم بالكلية"[19].أهـ.

ت- أن القمر جسم مظلم يعكسُ شعاع الشمس، وهذا القول لم يدركه علماء الفلك إلا حديثاً بالنسبة لسبق علماء الإسلام لهذه الظاهرة الفلكية، قال الدكتور زغلول النجَّار: "هذه الدقة البالغة في التفريق بين الضوء المنبعث من جسم ملتهب، مشتعل، مضيئ بذاته، وبين سقوط هذا الضوء على جسم مظلم بارد وانعكاسه نوراً من سطحه وبطريقة مطردة في كل القرآن الكريم لا يمكن أن يكون لها مصدر من قبل ألف وأربعمائة سنة إلا الله الخالق، فهذا الفرق الدقيق لم يدركه

[18] أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة سنة 2007م، ج1، ص208.

[19] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج19، ص101.

العلماء إلا في القرنين الماضيين، ولا يزال في زماننا كثير من الناس لا يدركونه!"[20].أهـ. ولكن إمامنا الرازيّ ذكر هذا، فقال: "وأما الشهر فهو عبارة عن دورة القمر في فلكه الخاص، فرغم أن نوره مستفاد من الشمس وأبداً يكون أحد نصفيه مضيئاً بالتمام"[21].أهـ. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:9]: "والروح كالقمر فإنه كما أن القمر يقبل النور من الشمس، فكذا الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة"[22].أهـ، وقال في موضعٍ أخر: "أما القمر فالنور واقعٌ عليه من الشمس"[23].أهـ.

ث- حقيقةُ انشقاق القمر، فإن العلم الحديث وبخاصةٍ خلال ظهور الرحلات المكوكية أبان الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي، فقد اكتشفوا أن القمر قد انشق في يومٍ من الأيام[24]، وهذا يثبته القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة سنة، وقد ذكر ذلك إمامنا الرازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:1]: فقال: "المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، وحصل فيه الانشقاق، ودلت الأخبار على حديث الانشقاق، وفي الصحيح خبر

---

[20] أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة سنة 2007م، ج1، ص507.

[21] فخر الدين الرازي، **أسرار التنزيل وأنوار التأويل**، (طبعة دار المعرفة: بيروت/لبنان)، تحقيق: (محمود أحمد/بآبا الشيخ عمر/صالح محمد)، الطبعة الأولى: 2011م، ص383.

[22] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج30، ص194.

[23] فخر الدين الرازي، **المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، (طبعة مركز تحقيقات كمبيوتري علوم إسلامي)، طبعة: 1343هـ، ج2، ص89.

[24] أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم**، فقد ذكر فيها سبب قصة إسلام البريطاني داود موسى، وهو اكتشاف الأمريكي بأن القمر قد انشق يوم من الأيام، انظر القصة في نفس الكتاب: ج1، ص543 إلى ص448.

مشهور رواه جمع من الصحابة، وقالوا: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة، فسأل ربه فشقه ومضى"[25].أهـ.

ج- أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان من اختلاط ماء الرجل بالأنثى ثم على مراحل وأطوار، ولم يكتشف لدى علماء الأجنة إلى وقتٍ قريبٍ، قال الأستاذ دكتور زغلول النجَّار: "هذه المراحل المتتالية في خلق جنين الإنسان لا يعرف علم الأجنة لأي منها اسماً محدداً، ولا وصفاً محدداً، ولا يميزها إلا بأيام العمر، وسبق القرآن الكريم بوصفها وتسميتها في مراحلها المتتالية بهذه الدقة العلمية المذهلة، بهذا الشمول والكمال في زمن لم يكن متوافراً فيه أي من وسائل التكبير أو الكشف المستخدمة اليوم"[26] . أهـ. لكن إمامنا الرازيّ ذكر ذلك بعد تفصيله لمرحلة النطفة فقال: "من مراتب خلق الإنسان صيرورته علقة..الخ". فذكر – رحمه الله- أطوار الخلق[27].

ح- قانون الجاذبية الأرضية الذي نصه: "لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه". فالمشهورُ عند الناس أن أول من قال بها هو العالم الإنجليزي إسحاق نيوتن، ولكن إمامنا الرازي سبقه بحوالي سبعة قرون، فقال في المباحث الشرقية: "إذاً الجسمان لو اختلفا في قبول الحركة لم يكن ذلك الاختلاف بسبب المتحرك بل بسبب اختلاف حال القوة المحركة، فإن القوة في الجسم الأكبر أكثر مما في الأصغر"[28].أهـ.

المطلب الرابع: موافقة العلوم والمعارف للقرآن الكريم:

وفي هذا المطلبِ نذكر موافقة الإمام فخر الدين الرازيّ في تفسيره لآي القرآن الكريم لبعض

---

[25] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج29، ص26.

[26] زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي خلق الإنسان في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة سنة 2007م، ج4، ص340.

[27] فخر الدين الرازي، **أسرار التنزيل وأنوار التأويل**، ص470 إلى ص490.

[28] فخر الدين الرازي، **المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، ج1، ص502.

ما سطر من علومٍ ومعارفٍ سابقة، وهي كالآتي:

أ- موافقة إمامنا الرازيّ للمتكلمين وغيرهم في أثبات وحدانية الخالق جل وعلا في نظرية التمانع، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]: "قال المتكلمون: القول بوجود إلهين يفضي إلى المحال فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محالا، إنما قلنا إنه يفضي إلى المحال لأنا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادراً على تحريك زيد وتسكينه فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر"[29].أهـ.

ب- أثباته موافقة التوراة المنزلة على موسى υ للقرآن الكريم وذلك أن الله تعالى فتق ما بين السماء والأرض، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]: "أن اليهود والنصارى كانوا عالمين بذلك فإنه جاء في التوراة أن الله تعالى خلق جوهرة، ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثم خلق السموات والأرض منها وفتق بينهما"[30].أهـ.

ت- أثباته للعلوم التجريبية لدورة الماء حول الأرض، في طريقة تكون الأمطار وانتقالها من أبخر أسطح البحار والمحيطات إلى السماء قبل نزول المطر بقدرة السميع العليم[31]، فقال –رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 22]: "يقتضي نزول المطر من السماء

---

[29] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج22، ص130.

[30] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج22، ص140.

[31] انظر إلى ما قاله بتصرف: أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم**، ج1، ص379-380.

وليس الأمر كذلك فإن الأمطار إنما تتولد من أبخرة ترتفع من الأرض وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء فتجتمع هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك هو المطر"[32].أهـ، وقال في موضعٍ أخر: "المطر الذي نعلمُ يقيناً أنه كائنٌ لضرورة المادة فإن الشمس إذا بخرت فخلص البخار إلى الجو البارد فلما برد صار ثقيلاً فنزل".أهـ.

ث- استرساله في التفضيل بين الملَكِ والبشر وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، فأورد مقارنة بين قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ »[33]، وقول الفلاسفة أن الملائكة أفضل من البشر بالجملة، فقال –رحمه الله-: "واعلم أن الفلاسفة اتفقوا على أن الأرواح السماوية المسماة بالملائكة أفضل من الأرواح الناطقة البشرية"[34].أهـ.

ج- مقارنته بين التراث العربي والأعجمي في ضرب الأمثال على ما استحقر من الأشياء كالبعوضة، وذلك في ضوء تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: 26]، فقال: "وأما العجم فيدل عليه كتاب كليلة ودمنة وأمثاله، وفي بعضها: قالت البعوضة، وقد وقعت على نخلة عالية وأرادت أن تطير عنها، يا هذه استمسكي فإني أريد أن أطير، فقالت النخلة: والله ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك"[35].أهـ.

---

[32] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج2، ص102.

[33] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، (طبعة دار طوق النجاة –مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي-)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى: 1422هـ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **(** ويحذركم الله نفسه **)** [آل عمران: 28]، ج9، ص121، رقم الحديث: 7405.

[34] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج2، ص209.

[35] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج2، ص123.

المطلب الخامس: دحض القرآن الكريم للأباطيل المعرفية:

وربما أورد الإمام فخر الدين الرازيّ في تفسيره الموسوم: بـ"مفاتيح الغيب"، قول أهل المعارف المختلفة للرد والنقد، ونُجمِلُ منها:

أ- رده وأباطله ما ورد عن بعض أهل المعارف في طعنهم لمنزلة الوالدين، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]، فقال: "قيل للإسكندر: أستاذك أعظم منة عليك أم والدك؟ فقال: الأستاذ أعظم منة، لأنه تحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي أرتعني في نور العلم، وأما الوالد فإنه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه، وأخرجني إلى آفات عالم الكون والفساد، ومن الكلمات المشهورة المأثورة، خير الآباء من علمك، والجواب: هب أنهما في أول الأمر طلبا لذة الوقاع إلا أن الاهتمام بإيصال الخيرات، وفي دفع الآفات من أول دخوله في الوجود إلى وقت بلوغه الكبر أليس أنه أعظم من جميع ما يتخيل من جهات الخيرات والمبرات، فسقطت هذه الشبهات والله أعلم"[36].أهـ.

ب- أثباتُه بطلان تحريف اليهود للتوراة المنزّلة على كليم الرحمن موسى عليه السلام، وذلك من جحودِهم صفة رسول الله محمّدٍ صلى الله عليه وسلم، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]، فقال: "جاء في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك [من قبل] الله فقال لها يا هاجر أين تريدين ومن أين أقبلت؟ قالت: أهرب من سيدتي سارة فقال لها: ارجعي إلى سيدتك واخفضي لها فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه إسماعيل من أجل أن الله سمع

[36] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج20، ص149.

تبتلك وخشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع وهو يشكر على رغم جميع إخوته".أهـ.

ت- بطلان نظرية دارون الذي يدعي فيها أن الإنسان أصله من قرد ثم مر بمراحل حتى وصل إلى ما وصل إليه، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق أبو البشر آدم υ وعلمه كل ما كان له اسم، ولم يكن من البدائيين كما يتصور بعض الكتّاب ناهيك بمن قال بنظرية العبد الشقي دارون!!، فقد ذكر ذلك الإمام فخر الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 31]، فقال: "المراد أسماء كل ما خلق الله من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولد آدم اليوم من العربية والفارسية والرومية وغيرها"[37].أهـ.

نتائج البحث:

1- اهتم الإمام الرازيّ في مؤلفاته وبخاصة التفسير بالعلوم العقلية من فلك وفلسفة وعلوم تجريبية تطبيقية.

2- للإمام الرازيّ فلسفة خاصة في تعريف العلوم، فهو يفرقُ بين العلوم في الذات وفي الوسيلة، ومثال ذلك ما قال عن السحر في تفسير آي سورة البقرة[38].

3- اهتمام الإمام الرازيّ للعلوم والتجارب الإنسانية السابقة مما وصله من أقوال فلاسفة وحكماء.

4- الإمام الرازيّ قد يجمع في مؤلفاته بين علم السمع (الكتاب/السنة) وبين أقوال الفلاسفة.

5- نجدُ أن الإمام الرازيّ يرد العلوم والمعارف الإنسانية التي تضادُ آيات الله تعالى البينات.

---

[37] فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج2، ص162.

[38] انظر إلى ما قاله فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، ج3، ص198.

المراجع:

1- القرآن الكريم (مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي).

2- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، (طبعة دار طوق النجاة –مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي–)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى: 1422هـ.

3- جلال الدين السيوطي، **التحبير في علم التفسير**، (مطبوعات إدارة الشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، الطبعة الأولى: 1995م، تحقيق: د. زهير عثمان علي نور.

4- إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان)، طبعة: 1997م، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

5- فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، (طبعة: دار الكتب العلمية: بيروت)، الطبعة الثالثة: سنة 2009م.

6- فخر الدين الرازي، **المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات**، (طبعة مركز تحقيقات كمبيوتري علوم إسلامي)، طبعة: 1343هـ.

7- أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية)، ط 1416هـ/1995م.

8- صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (دار إحياء التراث – بيروت)، طبعة سنة 2000م.

9- فخر الدين الرازي، **أسرار التنزيل وأنوار التأويل**، (طبعة دار المعرفة: بيروت/لبنان)، تحقيق: (محمود أحمد/بآبا الشيخ عمر/صالح محمد)، الطبعة الأولى: 2011م.

10- شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (مؤسسة الرسالة)، الطبعة الثالثة: 1405هـ/1985م.

11- زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي خلق الإنسان في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة خاصة: 2007م.

12- زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة خاصة: 2007م.

13- أ.د. زغلول راغب محمد النجَّار، **موسوعة الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم**، (طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر)، طبعة سنة 2007م.

14- د. محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (طبعة آوند دانش للطباعة والنشر)، الطبعة الأولى.

15- د. عاتق بن غيث بن زوير، **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**، (طبعة دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة)، الطبعة الأولي: 1982م.

16- الدكتور: عارف مفضي المسعر، **المنقول والمعقول في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي**، (طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية)، الطبعة الأولى: 2005م.